مخطوط فريد نفيس عن مراتب النحويين

تقديم وتحقيق
هاشم الطعان
بغداد ـ الجمهورية العراقية

هذا مخطوط عجيب كله ، حتى لو ان احدا حاول ان يؤلفه وتعمد الاغراب لما اتى باكثر مما جاء فيه .

فان عثوري عليه غريب. وقد كان ذلك ابان عملي في تحقيق (الكتاب البارع في اللغة) لابي علي القالي . وكان ذهني مملوءا بكل ما له علاقة بالكتاب وبالمؤلف وكنت مستوفزا تتوجه حواسي الى كل ما عساه ان يكون له صلة بذلك من قريب او بعيد .

ولم يحل انشغالي انذاك بيني وبين مصاحبة صديقي الاستاذ محمد جبار المعيبد الى النجف بحثا وراء نسخة خطية ثانية من كتاب حماسة الظرفاء الذي كان مشغولا بتحقيقه حينذاك .

وقادنا البحث الى مكتبة كاشف الغطاء حيث عثرنا على ضالة المعيبد ووجدنا من القيم على المكتبة السيد شريف كاشف الغطاء كل حفاوة ومعونة وبينما المعيبد يتامل مخطوطة حماسة الظرفاء كنت اتامل عناوين مخطوطات المكتبة ، فوقعت عيني على نسخة خطية من كتاب الامالي لابي علي القالي .

والامالي مطبوع اكثر من طبعة ـ كما هو معروف ـ مبذول وما كنت لاجشم نفسي عناء مراجعة نسخة خطية لكتاب الامالي في ظرف آخر ، ولكن ذلك حدث ، قلت : لعلها نسخة قديمة ، او بخط احد العلماء المعروفين بالضبط . وسألت السيد شريف ان يطلعني عليه ففعل بأريحية .

وكانت النسخة عادية ، متاخرة وليس فيها ما يشجع على اطالة التامل فيها او اضاعة الوقت . على ان اوراقا ملصقة في أولها مستقلة عنها استوقفتني ففيها كلام على اللغويين والنحاة . وظننت اني ساجد فيها شيئا عن القالي وقلت لعلهم لذلك الصقوها بالامالي وأعدت قراءتها فلم اجد فيها شيئا مما كنت ابغيه يومذاك ولكنني وجدت فيها اكثر من سبب يدفعني الى العناية بها .

واستخرجت اوراقا من حقيبتي واكببت على استنساخها .

تلك هي قصة عثوري على هذا المخطوط .. ولكن ذلك كان بدء الغرابة .

ان مؤلف هذه الرسالة المخطوطة من الغرائب ايضا فهو ابو حامد احمد بن محمد بن شنيبان الترمذي (أوفر ائمة العربية علما واغزر نحوا ، وقد لقي الاعراب الذين انتخبهم عبدالله بن طاهر ورتبهم قبله . وعرض شعر كل شاعر من القدماء وغيرهم على رواة له من قبيلته فاورده عليه مأثورا من الثقات حتى انتهى الى قائله سماعا وإحاطه بتفاسيره ومعانيه . ولزم ابا سعيد احمد ابن خالد الضرير الى ان قبض ولم يفته بشيء من لطائف علمه واخذ عند اشياء وعن جماعة منهم ابو عبيدة معمر بن المثنى وابو عمرو اسحق بن مرار الشيباني وابن الاعرابي محمد بن زياد والاصمعي عبدالملك بن قريب ومن شاكلهم) .

كل هذا عن المؤلف موجود في هذه الرسالة على لسان راويها ابي الحسين ـ وله حديث .

ويضيف هذا الراوية قوله ، « اخبرني علي بن محمد الكاتب ، قال شهدت ابا سعيد ، وابو حامد في مجلسه فلما قام قال ، ابو سعيد ان حدث بي حادث فعليك بهذا الفتى . » ويضيف : «وانبأني غيره ان ابا سعيد قال لابي حامد انك اكثر مني لان معولي على الحفظ ومعولك على الحفظ والكتابة » .

ويضيف : « وحكي لي من حضر مجلس الاصبهاني وابو حامد حاضر فلما نهض ، قال الاصبهاني لاهل محفله : اين كان الاصمعي عن الاعراب الذين لقيهم هذا ؟ » ويضيف : « وكتب ابو الهيثم الهروي الى نصر بن احمد بلغني ان ابا حامد الترمذي عندك فتمسك به فانه واحد الدنيا في هذا العصر . ولقد اجتمعت واياه عند علي بن حجر بمرو وناظرته في اشياء فكانت الحجة في يده . »

ويعلق : « وابو الهيثم المبرز على أهل زمانه بصره وحذقا وشاهد كل شيء دال على غائبه ». ثم يعود الى ابي حامد فيقول: « ومما فسر ابو حامد من اشعار العرب وضمنه من علما وشرح من الالفاظ واللغات سماعا وسؤالا واقتباسا عن الائمة المبرزين بهذا الشأن غني عن الاغراق في وصفه » .

ان كل هذه المعلومات عن هذا الرجل وكل هذا الثناء عليه يجعل المرء يظن لاول وهلة انه سيجد ترجمته على طرف الثمام ، وانه لن يفتح كتابا من كتب طبقات اللغويين والنحاة حتى يجد ترجمة مسهبة عنه ، ولكنني ـ وهنا الغرابة ـ لم أجد له ترجمة ولا ذكرا في كل المظان التي استطعت الوصول اليها فمصدرنا الوحيد عنه هو ما ورد في هذه الرسالة التي رواها عنه ابو الحسين علي بن الحسين الكاتب(١) . وسنرى ماذا نستطيع ان نستخرج من النصوص التي اوردناها مما يمكن ان يلقي ضوءا ما على حياة هذا الرجل .

ولا تنتهي الغرائب الى هذا الحد بل يبدو انها قد ابتدات الان . فانني لم اعثر بعد طول البحث والتقصي على اي ذكر لهذا الـ (ابو الحسين علي بن الحسين الكاتب الانصاري

---

(١) الا اشارة في الفهرست لابن النديم الى شخص اسمه الترمذي الكبير سقط من جميع نسخ الفهرست ما يتعلق بترجمته وجاء في طبعة فلوجل برسم (الرملى) فلعله صاحبنا .

اليزيدي) فهو كشيخه قد سكتت عنه المصادر فلم نعرفه الا من روايته لهذه الرسالة .

ولم استطع معرفة ابي الهيثم الهروي الذي وصف كما سلف بانه (المبرز على اهل زمانه بصرا وحلقا) .

وكذلك كان الامر بالنسبة لعلي بن محمد الكاتب ولم اعرف اي اصبهاني المقصود هذا المذكور في الاخبار التي وردت في هذه الرسالة .

ولقد قفز الى ذهني ان المؤلف هو ابو حامد محمد بن احمد البشتي الخارزنجي ، فان اسمه واسم ابيه وكنيته تنطبق على مؤلف الرسالة ، و لانعرف اسم جد البشتي فتكون هذه الرسالة قد اعلمتنا به . ويبقى لقب الترمذي وكنا سنتساهل فنحمله على التحريف على بعد ما بين الرسمين (الترمذي) و (البشتي) . ولكن الخارزنجي هذا قد توفي سنة ٣٤٨ فيستحيل ان يكون قد تلمذ للاصمعي المتوفى ٢١٦هـ وابي عبيدة المتوفى ٢٠٩هـ . ويبعد ان يكون قد تلمذ لابي سعيد الضرير المتوفى ٢٧٦هـ .

ولا نعرف للخارزنجي هذا العدد الكبير من المؤلفات والروايات فلا نعرف اذن ترجمة لابي حامد هذا خارج هذه الرسالة الفريدة الغريبة النفيسة فماذا يمكن ان يقال في ترجمته بالرجوع الى هذه الرسالة ؟

ان الرجل من رجال القرن الثالث لان اكثر شيوخه توفوا في اوائل هذا القرن . وقد تادب بالاعراب الذين اقدمهم عبدالله بن طاهر كابي العميثل وعوسجة (بغية الوعاه ٣٠٥/١) والذين تلمذ لهم ابو سعيد احمد بن خالد الضرير ايضا شيخ ابي حامد .

وقد ذكر ابا العميثل هذا في معرض حديثه عن محمد بن نعيم الذي لا نعرفه ايضا فقال ، (وما كان يقع في علمه من السقط لا يخلو من مثله العلماء والفقهاء ..... ولقد وجدت من السقط والغلط على ابي العميثل وهو لم يخرج من البادية مثله فكيف يتعجب من حضرى ..)

ويبدو لي أن ابا حامد هذا كوفي المذهب، فهو يطعن على البصريين تصريحا وتلميحا او يتغافل كما فعل بالنسبة لسيبويه فهو لم يذكره الا في معرض الثلب حين روى عن شيخه ابي سعيد الضرير قوله (كان الكسائي اضبط لما سمع من سيبويه) ثم لم يذكره وهو يبدأ من البداية فيبدأ بالطعن على ابي الاسود الدؤلي – فينفرد – وهذا من غرائبه – بجعله هو الذي لحن واصلحت له ابنته .

وفضل ابا عمرو بن العلاء على ابن ابي اسحاق الحضرمي قال (كان ابو عمرو بن العلاء ، وكان الزم لكلام العرب ولغاتهم من الحضرمي وذلك ان الحضرمي كان قياسا يطعن على العرب).

حتى اذا انتهى من الحضرمي عاد الى ابي عمرو بن العلاء نفسه فلمح من طرف خفي الى قلة جدواه فقال (لم يظهر من علمه ولم ينشر في العامة الا اليسير سوى ما كان يروى من شعر جرير والفرزدق والعجاج وتلك الطبقة) ويذكر بعد ذلك عجيبة من عجائب الرسالة فان المصادر التي بين أيدينا تذكر ان ابا عمرو بن العلاء تنسك واحرق كتبه . وينفرد ابو حامد صاحبنا بذكر أن اهل الكوفة غرروا بابي عمرو (فحملوه على ان احرق كتبه ، ثم لما تعقب فعله على انه قد خطأ على نفسه فعاود مذهبه ، ولم يكن عنده من العلم الا ما وعاه في صدره) .

وعند الخليل تلجلج ابو حامد فلم يستطع ان يحجب ضوء الشمس فاثنى عليه ما شاءت له كوفيته ان يثني وذكر انه (استخرج العروض والتعريف ، وجاء بهذه الاشياء اللطيفة الغامضة التي لم يسبق اليها) .

لكنه لم يلبث أن وجد اكثر من سبيل للطعن فالقى تبعة ذلك على بصري اخر فقال (كان الاصمعي يهجن مذهبه ويزين ما فيه ابو عمرو بن العلاء للزومه علم العرب على ما تكلموا) وهي عجيبة من عجائب هذه الرسالة لا لانها تطعن في علم الخليل وهو هو ولا لانها تستخدم الاصمعي البصري اداة لذلك ولكن هذا الخبر لا نعرفه خارج هذه الرسالة في مئات الكتب التي تحدثت عن الاصمعي والتي نقلت احاديثه .

ويثني ابو حامد على يونس بن حبيب ولكنه ينقل هذا الثناء على لسان اهل البصرة ويبرئ نفسه منه وحين يحس انه اسرف يردف هذا النقل بقوله (وزعموا) ويعود مرة اخرى فينقل طعنا اخر للاصمعي على الخليل تنفرد به هذه الرسالة ايضا يقول (وذكر الاصمعي ان الخليل قال يوما : امس حفظ علي الائمة . فقال الاصمعي : فمضى امس بما فيه . اي أمر هينا ؟ يذهب مذهب الطعن عليه في تكلفه ما لا تعرفه العرب في كلامها من العلل) .

ثم يعود الى الثناء على ورع الخليل وتقواه حتى اذا انتهى من ذلك الى اصحاب الخليل فبدأ بمؤرج بن عمرو السدوسي انفرد بذكر انه (كان يعرف بالعروضي) ثم استخدمه ايضا للطعن على الخليل فنقل قوله ، (خلفت الخليل في علمه سنين ثم استقصيت النظر في مذهبه فاذا لا تحصيل له .)

وذكر صاحبا اخر للخليل هو ابن مناذر فزعم انه (بلغ من ضنه بعلمه انه كان يفسد ما يسمح به لبعض اصحابه فيغيره) .

ووصل الى الاصمعي الذي استخدمه آنفا للطعن على الخليل فاورد طعونا عليه منها المعروف ومنها غير المعروف (فهو انسان لا يروى شعر قبيلته) و (هو قرد مرة وبلبل مرة) و (كان يحكي العجمة فكأنه هي) .

ثم يروي أبو حامد قصة اتصال الاصمعي بالرشيد فيخرج على الاجماع اذ ينفرد ايضا بايراد اشياء لا نعرفها عند غيره فيزعم في حديث طويل ان الرشيد (استثقله) اول مرة فقال عنه (انه ثقيل طويل الحديث) ثم احتال الاصمعي حتى دخل مرة اخرى (فتمكن منه) .

ويأتي بعد ذلك الحديث عن الكسائي ، فاذا بصاحبنا لا يتردد في نقل طعن على اخلافه وان كان يثني على علمه الثناء كله ، فهو (اضبط لما سمع من سيبويه) وقد (اعانه الطبع على السماع فبرز) و (قال فيه نعيم النحوي : أن ابن النبطية ليوحى اليه بالليل في النحو ، من تبحره فيه) وابو سعيد يسمع ابن الاعرابي يقول : (ما قامت النساء عن مثل الكسائي) .

وحين يتحدث عن ابي زيد الانصاري يقول انه (كان عالما

بالنحو والتصريف وباللغات وكان ملازما للمربد اللي فيـــه مجمع الاعراب) .

ثم يقول (وكان ياخذ نفسه بالفصاحة وذاك مهجن ملموم عند علماء الحاضرة .)

ثم يروى لذلك قصة وقعت له مع سماك(٢) ، ثم يتحدث عن ضرب اولاد انس بن مالك له ومناظرته لابي حنيفة كل ذلك للنيل منه .

حتى اذا جاء الى المفضل الكوفي وابن الاعرابي الكوفـي ايضا ، لم يتلعثم وهو يكيل الثناء لهما .

اما الاخفش البصري فهو عنده (قليل الرواية ضنينـــا بعلمه زعموا ، لا يكاد يوقع في كتبه ما يستطرف وما يكثـــر الانتفاع به) .

ثم ذكر تاديبه لولد الكسائي وحمله علم الكسائي الـــى البصرة .

اما النضر بن شميل تلميذ الخليل فان (اصل كتابه الكبير لابي خيرة الاعرابي) و (كذلك الليث نصر)(٣) وكفى الله المؤمنين شر القتـــال .

والنضر مصحف يخطئه اهل الحديث .

ويتحدث عن القاسم بن معن الكوفي فيصفه بانه (اجمـــع الناس وارواهم للشعر واعلمهم بالنحو ولغات القبائل واورع الناس ، ولي القضاء بالكوفة دفعتين فلم ياخذ عليه درهما) .

اما ابو معاذ النحوي ـ الذي لم اعرفه ـ فان مؤرجا قال : (لو كان ابو معاذ بالعراق لضرب اليه آباط الابل من اقطار الارض في النحـــو) .

وابو عبيد القاسم بن سلام الكوفي (لم يجد من يدانيـــه في زمانه ، قد ولي القضاء بالشام وكان من القراء المقـــدمين ، وقد اقر له اهل الانصاف من العلماء وانه الف من الكتب في كل نوع ما لم يؤلفه احد مثله) .

اما شيخه ابو سعيد الضرير فيقول عن نفســه : (قال لي ابن الاعرابي يا ابا سعيد انت احفظ من الاصمعي وابي عبيدة) .

ان هـــذه الرسالة التي تقع في خمس اوراق والتـــي كتب نسـختها الفريدة المعروفة لدينا الشيخ علي بن محمد رضـــا كاشف الغطاء المتوفى ١٢١١هـ تقدم الى علم طبقات النحويين مسـألتين جديدتين كل الجدة :

١ ـ انها اقدم مؤلف في هذا الموضوع فهو من القـــرن الثالث الهجري واقدم ما وصل الينا من كتب في هذا الموضوع يعود الى القرن الرابع الهجري .

٢ ـ انها اول كتاب كوفي في هذا الموضوع نعثر عليه .

وهاتان الميزتان وحدهما كافيتان لوضع هذه الرسالة في مكانها الصحيح لسد ثغرة في تاريخ النحو والنحاة .

اضف الى ذلك هذه الطائفة الصالحة من النحاة الذيـــن نعرفهم لاول مرة في هذه الرسالة .

---

(٢) يروي تاريخ بغداد ١١/١٢٤ وارشاد الاريب ٥/١٩٧ حادثة مشابهة وقعت للكسائي .

(٣) وهو بذلك يطعن في نسبة العين الى الخليل والليث كليهما.

[النص]

بسم الله الرحمن الرحيم

، قال الشيخ ابو الحسين علي بن الحســـين الكاتب اليزيدي الانصاري(١) رحمه الله ، قال ابو حامد رحمه الله :

اول من تكلف من اهل البصرة تصحيح الكلام واعرابه على ما جاء عن العرب ؛ ابو الأسود الدؤلي من كنانة واسمه ظالم بن سفيان ، وذلك انه قـــال يوماً ، وقد اشتد الحر : ما اشدُّ الحر ؟

فقالت ابنته : طلوع الجوزاء .

فانتبه الشيخ وعلم انه هفا واخطأ ولحن(٢) . وانما اراد الشيخ أن يقول : ما أشدَّ الحرَّ ! على التعجب فأخطأ ، فقال مستفهماً : ما اشد الحر ؟ فأجابته ابنته على ما سمعت منه ، فحمله ذلك على تأليف النحو وحمل العوام على صحيح كلام العرب .

ثم اخذ يحي بن يعمر العدواني مـــن عدوان قيس عيلان . فكان يأخذ نفسه بالاعراب وبالعالي من كلام العرب حتى أنه تقدم اليه انسان وهو على قضاء البصرة(٣) ، وقدم انسانا اليه ، فقال : باع هذا مني عبدا ابّاقا . قال له : فهلا قلت ابوقا . وذلك أن الابوق الذي الاباق منه عادة . والابّاق الذي يكثر إباقه . فالأبوق أوكد من الاباق(٤) .

وسيره الحجاج الى خراسان وذلك انه سأله هل يلحن فأشار الى خفي من لحن يلحنه ؛ فسيره الى خراسان . وكان عند قتيبة .

فأخذ عنه ابن ابي اسحاق الحضرمـــــي ؛ وعنبسة الفيل ، والقرن الذين كانوا معهم .

ثم كان ابو عمرو بن العلاء ، وكان الزم لكلام العرب ولغاتهم من الحضرمي وذلك ان الحضرمي كان قياسا يطعن على العرب . ومن وافقه على ذلك.

وكان ابو عمرو بن العلاء يقول على سماعـــه من العرب ولم يظهر من علمه ؛ ولم ينشر في العامة الا اليسير سوى ما كان يروى من شعر جريـــر والفرزدق والعجّاج وتلك الطبقة .

---

(١) لم اعرفه .

(٢) في الاصل : الحن .

(٣) لم اجد من ذكر توليه قضاء البصرة الا ابن الابـــار في (اعتاب الكتاب ص٥٦) .

(٤) تسكت المعجمات عن صيغ المبالغة لهذا الفعل . والخبر نفسه في (نزهة الالباء ـ تحقيق الدكتور ابراهيـــم السامرائي ـ الطبعة الثانية ص٢٦) .

وكان اهل الكوفة يقولون : ابو عمرو سفه ويزعم تضيق المذهب(٥) فحملوه على ان احرق كتبه ثم لما تعقب فعله علم انه قد اخطأ على نفسه فعاود مذهبه ولم يكن عنده من العلم الا ما وعاه في صدره ولم يكن [٢] بالبصرة في عهده من رواية الشعر وعلم العرب الا ما كان عنده . فاما ابن اسحاق الحضرمي وعيسى بن عمر الثقفي ونصر بن عاصم الليثي وهم من اصحاب يحي بن يعمر فكانوا اصحاب نحو وقياس .

ثم جاء الخليل بن احمد فاستخرج العروض والتصريف ، وجاء بهذه الاشياء اللطيفة الغامضة التي لم يسبق اليها ، فكان الاصمعي يهجن مذهبه ويزين ما فيه ابو عمرو بن العلاء للزومه علم العرب على ما تكلموا .

وكان يونس بن حبيب حذا حذوه حتى قال اهل البصرة : يونس بن حبيب وعي العربية غريبها واعرابها وزعموا انه ليس أحد ، أسمح بعلمه ولا ابذل لما عنده منه .

وابو عبيدة وغيره من اصحاب خلف الاحمر لا يقدمون عليه احدا بعد ابي عمرو بن العلاء في صحة روايته وصدق لهجته حتى ان ابا زيد ذكر انهم اجتمعوا بباب المهدي فلم يكن فيهم احد افرس ببيت شعر ولا حكاية عن العرب منه .

وذكر الاصمعي ان الخليل قال يوما : امس حفظ(٦) علي الائمة . فقال الاصمعي فمضى امس بما فيه . اي امر ههنا ؟ يذهب مذهب الطعن عليه في تكلفه ما لا تعرفه العرب في كلامها من العلل .

ولكنه كان رجلا صالحا عاقلا له ورع ودين حتى انهم رووا انه اقبل يوما وحماد بن زيد في مجلسه فقال : من اراد ان ينظر الى رجل من ذهب فلينظر الى هذا .

وسئل عن ابن المقفع فقال : علمه اكثر من عقله وسئل ابن المقفع عنه فقال : عقله اكثر من علمه(٧) .

قال ابو حامد ، قال ميسان(٨) بن النضر : انهم كانوا يقرنون الخليل الى ابن عون(٩) في الفضل .

(٥) كذا ولم اهتد الى تقويم العبارة .

(٦) في الاصل (حفض) .

(٧) وفيات الاعيان (تحقيق احسان عباس) ٢/٤٦ .

(٨) كذا ولعله غسان الذي يتردد ذكره في هذه الرسالة ، ولم اعرفه ايضا .

(٩) عبدالله بن عون بن ارطبان المزني مولاهم ت ١٥١هـ . وخلاصة تذهيب الكمال ١٧٧ .

قال ، وقال لي النضر : لو كان الخليل حيا الى اليوم ما فارقته .

ثم من معروفي اصحاب الخليل مؤرج بن عمرو السدوسي وكان يعرف بالعروضي . فاخبرني غسان ان المؤرج قال : خلفت الخليل في علمه سنين ثم استقصيت النظر في مذهبه فاذا لا تحصيل له ، فخرجت الى البادية في طلب الرواية والنسب حتى ادركت منه بغيتي .

ومن اصحاب الخليل ابن المناذر ، وكان جاور مكة ، وكان نزر العلم ضنينا بما عنده وله شعر كثير ، وقد روى عن سفيان الثوري وعن طبقته وحمل عنه فبلغ من ضنه بعلمه أنه كان يفسد ما يسمح به [لـ] بعض اصحابه فيغيره .

قال ابو حامد : اخبرني محمد بن نعيم(١٠) عن جعفر بن ابي عمارة(١١) ، وكان جعفر مجاورا بمكة وكان صاحب مال حسن الحال ، وكان ابن المناذر نقيرا بلغ من نقره انه قال للسجستاني : يا ابا حاتم ترى هذه الدنيا على طولها وعرضها ما اهلني الله بقدر مفحص قطاة .

قال جعفر : كان يختلف الي فاعرض عليه قصيدته الدالية فانشدني فيها :

انما انفسنا عارية
والعوارى قصرها ان تسترد

قال : فلما عاد الي انشدته هذا البيت فقال : ما انشدتك على هذا . قلت : وكيف انشدتنى ؟ قال: انما انشدتك

انما اموالنا عارية
والعوارى قصارى ان ترد(١٢)

قال ابو حامد : سمعت غسان بن محمد يقول سألت المؤرج بن عمرو السدوسي عن علماء البصرة فقال : كانوا يقولون يونس بن حبيب الضبي قد وعى العربية غريبها واعرابها .

قال : وابو عبيدة نظيره عندنا .

قال : وسألته عن الاصمعي فقال : ليس بعالم . ما ظنك بانسان لا يروى شعر قبيلته ؟ ثم قال : وهو قرد مرة وبلبل مرة . قال : وذلك انه كان يحكي العجمة فكانه هي .

(١٠) ياتي له ذكر .

(١١) لم اعرفه ولعله ابن ابي عمارة المذكور في فهرست ابن النديم ص ٣٠ من اهل مكه روى عنه ابو عمرو بن العلاء .

(١٢) في الاصل : قصار ان ترد . والبيت في اللسان : قصر بلا عزو .

قال ابو حامد : سمعت أبا سعيد يقـــول ، سمعت الاصمعي يقول : لا اعتد بعلم رجل لا يدخل به الحمام .

قال فذكرته لابي عمرو الشيباني. قال : وكان بابي عمرو عنه [ميل] فقال بعثنه(١٣) ولم يمكنـه ان يدخل به الحمام .

قال ابو حامد : يعني لم يمكنه ان يحفظ .

قال ابو حامد : كان الاصمعي جيد القريحة ، جيد الحفظ ، خفيف الروح ، متأتيا [٤] للتقرب الى الملوك بذرابة لسانه وحضور علمه وكان يقول : اتصلت بالعلم ونلت بالملح(١٤) . وذلك انه سار الى الرشيد وهو بالرقة فاتصل بمسرور الخادم وتوسل الى الرشيد به فادخله عليه فاخذ به في ايام العرب مثل حرب البسوس وحرب داحس والغبـراء . فاستثقله الرشيد ، فلما خرج من عنده قال لـه مسرور : ويحك ما الذي صنعت ؟ اخذت فيما لم يوافق امير المؤمنين . فقال له : لم اعلم ولكـن تعيدني اليه . فقال : الان فلا يتهيأ ولكن غب غيبة خفيفة ثم ارجع حتى اوصلك اليه . فغاب ثم رجع فاستأذن له مسرور فقال : يا امير المؤمنين بصرينا ذاك قد وافى . فقال : يا مسرور وما اصنع بـه ؟ انه ثقيل طويل الحديث . قال : ليجربه امـير المؤمنين في هذه الدفعة . قال : فاذن له فدخـل عليه .

قال : فجعل يحدثه ملح الاعـراب والنوادر فتمكن منه وجعله في سماره وحدائه .

فاخبرني ابو داود(١٥) انه اخذ الاشياء التي تروى عنه من الملح والنوادر وحملهـا الى البصرة وعرضها عليه فعرف بعضا وانكر بعضا .

قال : فلا ادري ما بغاه ، وانكر ما كان شيئا اخبر به(١٦) وتحدث [من] تلقاء نفسـه ، لم يتحرج ان يتحدث به ؟ [أ] وكان سمعه ثم نسيه .

وسمعت ابا سعيد يقول : كان الكسائي اضبط لما سمع من سيبويه وكان اصابت العرب مجاعـة وجهد فاقتحمتهم الى الريف فنزلوا ظهر الكوفة ، اكثرهم اسد وضبة ، فكان الكسـائي يختلف اليهم ويأخذ عنهم ، فبهم تخرج واعانه الطبع على السـماع

---

(١٢) كـذا .
(١٤) قال الاصمعي : توصلت بالملح وادركت بالغريب (العقد الفريـد ١٢/١) .
(١٥) لم اعرفه ولم يأت له ذكر .
(١٦) فوق الكلمة كتب بخط دقيق : الله .

فبرز حتى قال فيه نعيم النحوي(١٧) : أن ابـــن النبطية ليوحي اليه بالليل في النحو من تبحره فيه . وسمعت أبا سـعيد [يقول] سـمعت ابن الاعرابي يقول : ما قامت النساء عن مثل الكسائي على رهق فيه(١٨) .

قال ابو حامد : الرهق غشيان المحارم .

واما ابو عبيدة من الحفاظ فهو اوســع في الرواية [٥] من الاصمعي واكثر في ايام العـرب وانسابها الا انه كان الكن لا يصلح لمجالسة الملوك .

وابو عمرو الشيباني اسمه اسحاق بن مرار وهو من السواد من دسكرة الملك وكان من اولاد النبط(١٩) . وانما قيل له الشيباني لانه كان يكون مع يزيد بن مزيد ثم مع ولده من بعد وكذلك ولد يزيد(٢٠) .

واخبرني ابو سـعيد ، قـال : قلت لـــه من الرجل ؟ قال : رجل انعم الله عليه بالاسلام .

وكان قد بلغ من السن فزعموا انه مات وقد نيف على مئة وعشرين سنة(٢١) .

وسمعت ابا سعيد يقول سمعت ابا عمـرو يقول [اول] من اتخذ مجلسا في هذا المسجد ـ يعني مسجد ابي جعفر امير المؤمنين بدار السلام ـ انا . وكنت احفظ في عصره طوال شعر الكميت .

قال ابو سعيد : فاخذت شعر الكميـت والطرماح مسألة حرفا حرفا ، الا اني اخذت لطائف معاني شعر الكميت وغوامضها من رجل من اهـل الكوفة عن الشيعة ولم يكن ذاك عند ابي عمرو .

وكان ابو زيد عالما بالنحو وبالتصريف وباللغات وكان ملازما للمربد الذي [فيه] مجمع الاعراب .

---

(١٧) لعله نعيم بن ميسرة النحوي المروزي (بغية الوعاه ٢/ ٣١٧) وهو الرازي في (انباه الرواة ٣٥٢/٣) وتوفي ١٧٥هـ (تاريخ بغداد ٣٠٣/٢) .
(١٨) ابن الاعرابي قال : كان الكسائي اعلم الناس على رهق فيه (ارشاد الاريب ١٨٥/٥) .
(١٩) يوسف الاصبهاني قال : ابو عمرو من الدهاقين . ونسبه حاجي خليفه الى كرمان . اما ام ابي عمرو فكانت نبطية (ابو عمرو الشيباني ـ د . فرج رزوق ص ٤) .
(٢٠) نسب الى شيبان اما لانه كان يؤدب في احياء بنـي شيبان فنسب اليهم بالولاء ويقال بالمجاورة والتعليـم لاولادهم او لانه كان يؤدب ولد هارون الرشيد الذيـن كانوا في حجر يزيد بن مزيد الشيباني فنسب اليـه (ابو عمرو الشيباني ص ٤) .
(٢١) توفي ابو عمرو بعد عمر طويل بلغ مئة سنة وعشر سنين . وقيل : وثمان عشرة . (ابو عمرو الشيباني ص ٦ ـ ٧) .

وكان يأخذ نفسه بالفصاحة . وذاك مهجن مذموم عند علماء الحاضرة .

واخبرني ابو سعيد انه دنا من سماك يوما فقال : بكم هاتان السمكتان ؟ فقال السماك : بدرهمان تأخذوه(٢٢) . فرجع الى اصحابه فقال اياكم ان تكلموا اهل السوق بالاعراب .

واخبرني ابو داود انه كان تزوج بامراة من ضواحي البصرة . قال : فكان يختلف اليها على حمار له ، فرصد له بعض ولد انس بن مالك وذلك انه بلغهم انه ذكر جدهم فقعدوا له على الطريق فانزلوه عن حماره فجعلوا يضربونه وهو يقول : والله ما شتمت انسا . فقالوا اما ما دمت تعرب فانا نضربك حتى تترك الاعراب .

قال : فاخبرني ابو الوليد المروزي(٢٣) : وكان من رواته انه ناظر ابا حنيفة(٢٤) وكان يقول به فقال لابي حنيفة : والله انس لاسترضي(٢٥) كلامك . وكان ابو حنيفة لحانا زعموا . فقال له ابو حنيفة : وكان اهل البصرة مثلك ؟ [٦] فقال : انا من دونهم . فقال : تأبون يا أهل البصرة الا نفجاً .

وكان ابو زيد قليل الرواية للشعر .

قال ابو حامد : سمعت ابا سعيد يقول : سمعت ابا عمرو يقول : كتبت علم العرب دفعتين .

قال : وكان يقول لا ينبغي لنا ان نكذب فانا لا نأمن ان نكون قد كذبنا في بعض ما حدثنا .

وكان ابن الاعرابي يقول : من كذب ذل .

وكان ابو سعيد يحكي عن بعض ولد ابي عمرو انه لما حضر جعل يقول : ايها الرجل او يا ايها الشخص الحسن الوجه الطيب الريح النظيف الثياب ادن ادن .

(٢٢) عن ابي زيد النحوي قال : وقفت على قصاب وعنده بطون فقلت : بكم البطنان ، فقال ، بدرهمان يااثقيلان . وعن احمد بن محمد الجوهري قال : سمعت ابا زيد النحوي، قال : وقفت على قصاب وقد اخرج سمينين فملقهما فقلت : بكم البطنان ؟ فقال بمصفعان يامضرطان . ففررت لئلا يسمع الناس . (اخبار الحمقى والمغفلين ١٥٨) وترجم محققه في الهامش للجوهري فذكر انه متوفى سنة ٤٠١ هـ ففي سماعه عن ابي زيد المتوفى حوالي سنة ٢١٥هـ نظر وفي تاريخ بغداد ٤١٣/١١ وارشاد الاريب ١٩٧/٥ قال الكسائي : حلفت الا اكلم عاميا الا بما يوافقه ويشبه كلامه ، فقد وقفت على نجار فقلت بكم هذا البابان ؟ فقال : بسلحتان .

(٢٣) لم اعرفه .

(٢٤) كأن هنا عبارة ناقصة .

(٢٥) كـذا .

قال : كان ملكا يراى له . وذلك الرجل الصبيح اذا حضر بشره الملك .

وكان ابن الاعرابي يعد اذكى صاحبيه [والمفضل] الضبي وكان كثير الرواية جيد الحفظ سمين الالفاظ وكان اخذ الرواية عن المفضل والتفسير عن الاعرابي . وكان المفضل يقول : عليكم بالاعرابي في تفسير الشعر والرواية عني .

وكان ابن الاعرابي اخذ النحو عن الكسائي وانساب العرب وايامها عن الهيثم بن عدي وابن الكلبي ، وكان يروى عن ابي زيد ايضا وذلك ان ابا زيد رحل الى المفضل ، فاخبرني ان ابن الاعرابي انتخب من كتبه فسمع منه .

واما الاخفش فرجل صاحب نحو وعروض وتصريف ، ولم يكن بفصيح اللسان ، وكان عالما بهذه الاشياء قليل الرواية . وكان ضنينا بعلمه . زعموا لا يكاد يوتغ في كتبه ما يستطرف وما يكثر الانتفاع به وكان يقصد في ذلك قصد اختلاف الناس اليه .

وكان الاخفش مؤدبا لولد الكسائي وكتب مسائل كثيرة من علم الكسائي وحملها الى البصرة فهو اليوم يقال له كتاب المسائل .

فقال له اصحابه : ما هذا العلم المخالف لعلمنا الذي جئتنا به ؟ .

قال : انما حملته لنفسي فمن شاء فلياخذه ومن شاء فيتركه .

واما قطرب فانه قريب من الاصمعي الا انه في العربية اكثر من الاخفش والاخفش اصح منه علما .

والنضر(٢٦) بن شميل . فهو رجل كثير الرواية ثقة في الحديث [٧] محمود عند اهله صحيح العلم ضابطا لما يرويه وكتبه في العربية كتب جيدة . واصل كتابه الكبير لابي خيرة الاعرابي وزاد فيه ما سمع من الاعراب وغيرهم وكذلك الليث بن نصر بن سيار زاد ايضا في كتاب ابي خيرة الا انه شركه على الفاظ وغير النضر بعض الفاظ كتابه فكتاب الليث انصح . ولم نجد على النضر سقطا في العربية الا شيئا يزعم اهل الحديث انه اخطأ فيه ويزعمون انه خالف فيه سائر الرواة وهو قوله : العبرية(٢٧) . فيرده(٢٨) اهل الحديث بغير بينه ، والصواب في

(٢٦) في الاصل : النظر .

(٢٧) لم اجد في المعجمات وكتب اللغة هذه الكلمة بهذا المعنى .

(٢٨) في الاصل : فيردونه .

كلام العرب ما جاء به النضر وذلك ان العبرية عند العرب الاخذ بجفاء وغلظ وشدة . وذهب اهل الحديث الى انه بغير بينة وحجة نقل ما نقل :

ومن قال : القبر بينه(٢٩) اي تاخذه بجفاف وعنف وليس من اخلاق أهل العقل ، كأنه قال عليك بالرفق به والتؤدة . هذا كلام العرب . وذكر بعض اهل الحديث انه اخطا في عمار الدهني(٣٠) فقال : عمار صاحب الدهن فتوهم ان الدهني منسوب الى الدهن وانما هو منسوب الى حي من بجيلة ، يقال لهم دهن ، فان كان عمار صاحب الدهن محفوظا عن النضر فهذا خطا .

وكان القاسم بن معن بن عبدالرحمن بن عبد الله بن مسعود(٣١) اجمع الناس وارواهم للشعر واعلمهم بالنحو ولغات العرب واورع الناس . وولي القضاء بالكوفة دفعتين فلم يأخذ عليه درهما .

واما ابو معاذ النحوي(٣٢) فاني سمعت غسان يقول سمعت مؤرج يقول لو كان ابو معاذ بالعراق لضرب اليه آباط الابل من اقطار الارض في النحو .

واما ابو عبيد القاسم بن سلام(٣٣) فانه لم يجد من يدانيه في زمانه كان فقيها قد ولي القضاء بالشام وكان من القراء المقدمين ، وقد اقر له اهل الانصاف من العلماء وانه الف من الكتب في كل نوع ما لم يؤلفه احد مثله .

قال ابو حامد سمعت ابا سعيد يقول لست [٨] بحافظ ولكني احفظ ، على اني سمعته يقول قال لي ابن الاعرابي يا أبا سعيد انت احفظ من الاصمعي وابي عبيدة .

واما ابو حاتم السجستاني فرجل ضابط للحكايات ولزم الاصمعي فسمع له ما عنده ، وسمع من ابي عبيدة وابي زيد الانصاري واخذ من مذهب الاخفش ما برز به على كثير من نظرائه وسمع الحديث وكان يذهب ذلك المذهب ولم يوقف منه على ما يهجنه من الميل الى البدعة وذلك ان ابا زيد كان قدريا وكذلك الاخفش وكان ابو عبيدة اباضيا وكان الاصمعي ناصبيا وكان جده علي بن اصمع وكله الحجاج بن يوسف على تحريق المصاحف الا ما كان على ما جمعه عثمان بن عفان حتى قال الشاعر فيه :

فاصبح آيات الديار كأنها
كتاب محاه الباهلي ابن اصمعا(٣٤)

وكان فيه تحامل على اهل الكوفة في القراءات والروايات والحكايات وكان الاصمعي لا يكاد ان يمنعه شيء مما عنده من العلم حتى انه ربما عرض عليه شعر الشاعر فيأخذ عنه مسائله حرفا حرفا .

قال ابو حامد : ولم ندرك احدا ممن مولده ومنشاه خراسان اجمع لمذاهب الادب وافقه تدينا فيه من محمد بن نعيم(٣٥) فانه كان راوية نحويا عروضيا نسابة عالما بالتنزيل واعرابه وغريبه ، وكان غرة علمه ما كان يرويه من علم النضر وكان ضابطا له مؤديا ، وما كان يقع في علمه من السقط لا يخلو من مثله العلماء والفقهاء والادباء واهل الرواية فانهم ليس احد منهم الا وقد علق عليه السقط ، والعالم هو الذي يصيب ويخطىء ، فاما من يصيب في كله فذاك ليس الا الله عز وجل ، ولقد وجدت من السقط والغلط على ابي(٣٦) العميثل وهو لم يخرج من البادية مثله ، فكيف يتعجب من حضري يكتب ويقرأ ويباشر الكتب ويتولى مطالعتها مما يروى ومما لا يروى ، ولقد اخبرني ابو سعيد ان عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير انشده يوما[٩] .

الم اك قد نهيت على حفير
بني قرط وعلجهم الشفارا(٣٧)

قال ، فقلت : يا ابا عقيل ما الشفار ؟ قال : العظيم المشفرين ، قال ، قلت له : وهذا صفة البعيث ؟ . قال فانتبه الشيخ وقال : لا . فقلت له : ومن اين اتيت ؟ . قال : ان جدي قال هذه القصيدة بالبصرة فحملت منها الينا وعلمنيها المؤدب مكتوبة في لوح وانما هو الشقار وذلك ان البعيث كان اشقر ،

---

(٢٩) كذا في الاصل ولم اهتد لصوابها .

(٣٠) عمار بن معاوية الدهني الكوفي ت ١٣٣هـ (خلاصة تذهيب الكمال ١٢٧ وعجالة المبتدى ٥٩) .

(٣١) توفي على الارجح في سنة ١٧٥ هـ (ارشاد الاريب ٦/٢٠٠) .

(٣٢) لم اعرفه .

(٣٣) توفي سنة ٢٢٣ او ٢٢٤هـ (ارشاد الاريب ٦/١٦٢) .

(٣٤) في نزهة الالباء ص ٨٥ :
(واضحت رسوم الدار قفرا كأنها
كتاب تلاه الباهلي ابن اصمعا)

(٣٥) في خلاصة تذهيب الكمال : ص٣٠٩ : محمد بن نعيم بن عبدالله بن الجمر عنه الواقدي مجهول .
وفي تاريخ بغداد ٣٢١ - ٣٢٢ : محمد بن نعيم بن الهيصم ابو بكر روى عن بشر بن الحارث : ومحمد بن نعيم بن محمد بن عبدالله .. السري البياضي ومحمد بن نعيم ابن علي البخاري .
وفي معجم البلدان ٤/٥٨ : محمد بن نعيم بن عبد الله ابو بكر النيسابوري .
وما فيهم من نستطيع ان نرجح انه صاحبنا المذكور هنا .

(٣٦) في الاصل : ابن .

(٣٧) ديوان جرير (ذخائر العرب) جـ٢ ص٨٨٨ وفيه : وعلجهم شقارا .

كانت امه حمراء اصبهانية ، وقد عيره جرير بذلك في غير موضع من شعره .

وقلت لابي سعيد : من اين غلط ابو العميثل في هذه الاشياء ؟ فقال : كان يعرض عليه ما لا يرويه على التصحيف فيفسر على ما سمع ، وذلك انه قلما كان يسقط عليه من كلام العرب فكان يجد لكل ما يعرض عليه منزعا ومخرجا فيفسره على ذلك .

واما نوح بن قدامة(٣٨) فكان مطبوعا في الشعر فصيحاً ذرب اللسان حسن الكلام عذب الالفاظ ولم يكن له تبحر في العلم ولا كان له من فقه البدن(٣٩) ان يتدارك منه ما كان يتداركه محمد بن نعيم وكان محمد اغزر منه علما ، واوسع في رواية الشعر ومعرفة النحو من ابي داود(٤٠) والاصمعي ، وكان ابو داود من اضبط الناس لما كان يسمعه .

قال ابو الحسين وكان ابو حامد احمد بن محمد بن شيبان اوفر ائمة العربية علماً واغزر نحواً وقد لقي الاعراب الذين انتخبهم عبدالله بن طاهر وزتبهم قبله ، وعرض شعر كل شاعر من القدماء وغيرهم على راوية له من قبيلته فاورده عليه مأثورا من الثقات حتى انتهى الى قائله سماعا واحاطة بتفاسيره ومعانيه ، ولزم ابا سعيد احمد بن خالد الضرير الى ان قبض ولم يضنه بشيء من لطائف علمه واخذ عنه اشياء وعن جماعة منهم ابو(٤١) عبيدة معمر بن المثنى وابو(٤١) عمرو اسحاق بن مرار الشيباني وابن الاعرابي محمد بن زياد والاصمعي عبدالملك بن قريب ومن شاكلهم .

واخبرني علي بن محمد الكاتب قال : شهدت ابا سعيد ، وابو حامد في مجلسه ، فلما قام قال ابو سعيد : ان حدث بي حادث فعليك [١٠ و] بهذا الفتى .

وانبأني غيره ان ابا سعيد قال لابي حامد انك اكثر مني لان معولي على الحفظ ومعولك على الحفظ والكتابة .

---

(٣٨) لم اعرفه .
(٣٩) كـذا .
(٤٠) لعله سليمان بن معبد ابو داود النحوي المروزي ت ٢٥٧هـ (بغية الوعاه ٦٠٢/١ وتاريخ بغداد ٥١/٨) .
(٤١) في الاصل : ابي .

وحكى لي من حضر مجلس الاصبهاني(٤٢) وابو حامد حاضر . فلما نهض قال الاصبهاني لأهل محفله اين كان الاصمعي عن الاعراب الذين لقيهم هذا .

وكتب ابو الهيثم الهروي(٤٣) الى نصر بن احمد(٤٤) بلغني ان ابا حامد الترمذي عندك فتمسك به فانه واحد الدنيا في هذا العصر ، ولقد اجتمعت واياه عند علي بن حجر(٤٥) بمرو وناظرته في اشياء فكانت الحجة في يده ، وابو الهيثم المبرز على اهل زمانه بصرا وحذقا وشاهد كل شيء دال على غائبه ومما فسر ابو حامد من اشعار العرب وضمنه من علمه وشرح من الالفاظ واللغات سماعا وسؤالا واقتباسا عن الائمة المبرزين بهذا الشأن غني عن الاغراق في وصفه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

تمت الرسالة بيد العبد الراجي لطف ربه الخفي ، علي بن الشيخ محمد رضا الشيخ جعفر الفروي النجفي . اللهم اغفر له ولجميع المؤمنين والمؤمنات يوم الحساب .

---

(٤٢) لم اعرفه .
(٤٣) لم اعرفه .
(٤٤) لم اجد فيمن اسماؤهم (نصر بن احمد) من يصح ان يكون هـذا .
(٤٥) علي بن حجر بن اياس السعدي المروزي ابو الحسن ت ٢٤٤هـ (الاعلام ٧٧/٥) .

مصادر المقدمة والتحقيق

ابو عمرو الشيباني ـ د. رزوق فرج رزوق .

اخبار الحمقى والمغفلين ـ ابن الجوزي ـ تحقيق علي الخاقاني .

ارشاد الاريب ـ ياقوت ـ تحقيق مرجليوث .

اعتاب الكتاب ـ ابن الابار .

الاعلام ـ الزركلي .

انباه الرواة ـ القفطي ـ تحقيق أبو الفضل ابراهيم .

بغية الوعاة ـ السيوطي ـ تحقيق أبو الفضل ابراهيم .

تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي .

خلاصة تذهيب الكمال ـ الخزرجي .

ديوان جرير ـ ذخائر العرب .

العقد الفريد ـ ابن عبد ربه ـ تحقيق احمد أمين .

الفهرست ـ ابن النديم ـ كل الطبعات .

لسان العرب ـ ابن منظور .

نزهة الالباء ـ ابن الانباري ـ تحقيق د. ابراهيم السامرائي .